الخليفة عبد الله بين مطرقة الدولة وسندان الدعوة
(1885- 1898م)

د يسرية موسى أحمد جمال الدين
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك – قسم التاريخ
كلية التربية - جامعة كردفان

مستخلص:

جاءت هذه الورقة لتسليط الضوء على فترة الخليفة عبدالله بن السيد محمد . حياته ومجاهداته فى إقامة دولة المهدية . الدولة التى تحكم بالكتاب والسنة ، ووفق تعاليم الدعوة المهدية . فى ظل مجتمع مختلف المشارب والاهواء ناصر وأيد الدعوة المهدية لاسباب مختلفة . هدفت الدراسة، لتوضيح التحدى الذى واجهه الخليفة عبد الله بين إقامة الدعوة وتثبيتها ، وبناء وإدارة الدولة . فى العديد من المستويات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية . وذلك من خلال التعريف به وبإدارته وسياسته الداخلية والخارجية . مع توضيح النجاحات والإخفاقات التى صاحبت فترته ، وتضارب الأراء حوله المناوئة والمدافعة عنه . إتبعت الورقة المنهج التاريخى التحليلي الوصفي . وتوصلت الى عدة نتائج أهمها : أن إختيار المهدى لعبد الله التعايشي ليخلفه فى إدارة الدولة جاء بناءاً على مبداء الكفاءة لا لصلة القربى . وعلى معرفة ودراية تامة بمقدراته القيادية . لم تنتهي جذوة المهدية بمقتل الخليفة ونهاية دولة المهدية ـ بل ظلت ملهمة للحس وللشعور الوطنى مساهمة فى بناء فكر الأمة والقومية السودانية.

كلمات مفتاحية: الدولة المهدية – السياسة الدخلية والخارجية - اخفاقات ونجاحات .

Caliph Abdullah between the hammer of the state and the anvil of the call (1885 – 1898 AD)

Dr. Yosrya Musa Ahmed

Abstract:

This paper came to shed light on the period of Caliph Abdullah bin Sayyid Muhammad. His life and his struggles in establishing the state of Mahdia. The state that rules by the Qur'an and Sunnah, and according to the teachings of the Mahdist call. In light of a society of different stripes and whims, Nasser supported the Mahdist call for various reasons. The study aimed to clarify the challenge faced by Caliph Abdullah between establishing and stabilizing the da'wah, and building and managing the state. At many social, economic and political levels. This is done by introducing it, its management and its internal and external policy. With clarification of the successes and failures that accompanied his period, and conflicting opinions about him hostile and defending him. The paper followed the historical, analytical and

descriptive approach. It reached several results, the most important of which are: that the Mahdi's choice of Abdullah Al-Ta'ishi to succeed him in the administration of the state came based on the principle of competence and not kinship. And fully aware and aware of his leadership abilities. The flame of Mahdia did not end with the death of the caliph and the end of the Mahdia state, but remained an inspiration for sense and national feeling contributing to building the thought of the nation and Sudanese nationalism.

key Word : Mahdist state - domestic and foreign policy - Failures and successes

تمهيد :

شكلت دولة المهدية،على مدى العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر حضوراً على الساحة السودانية في جوانب متعددة مثل الديني، السياسي، الثقافي، الاجتماعي، الاقتصادي والإداري. تعد هذه الدولة أول حكم وطني سوداني أقرب للحداثه، أضف إلى ذلك استنادها على الشريعة الإسلامية كمرجعيه أساسية. تمكن قائد دولة المهدية الإمام المهدي من إقامة بناء واضح المعالم التزم فيه بالدقة في العموميات والجزئيات على حد سواء، حدد فيه المرامي والوسائل ، لكن بوفاته واجهت الدعوة والدولة تحديات جمة فكان على خليفته أن يصمد أمامها او يذهب كل المجهود الذى بذل سابقاً أدراج الرياح . واجه الخليفة عبد الله التعايشي بعد توليه إدارة دولة المهدية ، ظروفاً قاسية وتحدياً صعباً تمثل فى المحافظة على إستقلال السودان وحكمة وفق تعاليم وأيدلوجية الدعوة المهدية ، الإ أن المجتمع السودانى لم يكن بأجمعه قد آمن بفكر المهدية وما أن توفى المهدى حتى برزت العديد من الصعوبات والتحديات امام الخليفة وأهمها كيفية المحافظة على مجتمع موحد حول فكرة وقيادة ما ، ومن ثم إدارة الدولة كل ذلك وفق تعاليم الدعوة المهدية التى حددت شكل الإدارة والسياسة الداخلية والخارجية ،، وهو مالم يلبي رغبة بعض فئات المجتمع التى تعارضت مصالحها مع تعاليم المهدية والخليفة نفسه، لذا كان على الخليفة أن يواجه هؤلاء ويسير الدولة وفق تعاليم دولة المهدية مما اكسبه عداوة بعض معاصريه هذه العداوة التى إستثمرها المستعمر بعد ذلك فى تشويه صورة الدولة المهدية ممثلة فى شخص الخليفة عبدالله.

فالصورة التي حملها وما زال يحملها الكثيرون، سودانيون وأجانب، عن الخليفة عبد الله هي صورة حاكم متسط ومتعطش للدماء ، ظالم ، محب للسلطة ، كثير الشك والغيرة على حكمة . فقد كان غرض الإنجليز من نشر هذه الصورة الدعاية السياسية وإثارة الرأى العام البريطاني لجعله يتقبل فكرة إعادة فتح السودان تحت مزعم الثأر لمقتل غردون ، وتحرير هذا الجزء من العلم من وحشية الخليفة عبد الله وطغيانه . أما السودانيون فكانوا يلقون عليه بالآئمة لمكنته من المهدى ، لإبعاد المهدى لأهله منذ فتح الأبيض ووضع الخليفة عبدالله فى مقام الخليفة الأول

خليفة ابى بكر الصديق بدليل مؤامرة الأشراف الأولي فكان إبعادهم من الحكم وسجنهم ونفهم أو قتلهم .

نجد أن مؤلفات كثير من المؤرخين الأجانب كانت تفتقر للموضوعية وسار بعض المؤرخين السودانيين على طريقهم ، لذا جاءت هذه لورقة لتوضيح مجاهدات الخليفة عبدلله فى إقامة دولة تحكم وفق فلسفة وايدلوجية المهدية فى وقت تكالبت فيه الظروف الداخلية والخارجية لتقويض أركان حكمة لذا كان كمن وقع بين لمطرقة والسندان ، مطرقة الدولة وسندان الدعوة المهدية .

مولد ونشأة ونسب الخليفة عبد اللّه :

ولد عبدالله التعايشي بن محمد الجهنى المشهور بتورشين ، بدار التعايشة في قرية أم دافوق على ضفة رهيد البردي بجنوب دارفور حوالى العام . نشأ في طفولته بمسجد أجداده وقد كانوا حفظة قرآن. وفد جدهم الأكبر محمد القطب الواوي من تونس ذات المركز العالي فى الصوفية آنذاك إلى دار التعايشة بدارفور ، ثم رجع إلى تونس حيث توفي، ودفن بمدينة القيروان ولايزال ضريحه مزاراً لمريديه. حفظ عبد الله القرآن على طريقة الخلاوي ، ودرس العلوم الدينية والفقة واللغة العربية مع إخوانه على يد والده، وأمضى حياته الأولى كبقية الأطفال في ذاك المسجد الذي كان قبلة لطلاب القرآن والعلوم الدينية في دارفور ([1]).

ذكرت الباحثة الفرنسية الدكتورة فيفيان في كتابها «الخليفة عبد الله وحياته وسياسته» إن الخليفة ينتمي من جهة أمه لمجموعة قبائل البقارة بدارفور وينحدر من عشيرة أولاد أم صرة من بطن الجبارات من التعايشة البقارية وهي قبيلة بدوية كانت تعتمد على رعي الماشية وصيد النعام والأفيال، قدم أسلافه من جهة أبيه من تونس وهم ينتمون لآل البيت ، وتضيف الكاتبة أنها أدرجت شجرة نسب عائلة الخليفة حسبما جاءتها من عائلته([2]). وأمه هي أم نعيم بنت الحسن. وكان لعشيرة أولاد أم الصرة التي ينتمي إليها عبد الله من جهتي أبيه وأمه مكانه خاصة في قبيلة التعايشة ([3]) .

لكن الزبير باشا ذكر فيما رواه لنعوم شقير أن جد الخليفة عبد الله أصلاً من بلاد الفتري الواقعة بين منطقتي وداي فى تشاد الحالية وبرنو احدى ولايات نيجريا ، وأنه سار من بلاده طالباً للحج وهو لا يملك شيئاً كجميع الحجاج التكارنة . فلما وصل إلى دار التعايشة بالسودان تزوج منهم وسكن بينهم فأنتسب إليهم. وفي رواية أخرى أن هذا الجد قدم من إقليم النيجر دون تحديد مكان معين . وحسب رواية ثالثة إن أسرة التعايشي هاجرت من تونس وما نحوها وحلت بمنطقة وادي، ثم هاجر جدّ عبد الله تاركاً والده ووالدته وإخوته وإتصل بالتعايشة وصار عندهم فقيهاً للرعاة الرحل. فلما طاب له الحال عاد إلى منطقة وادي ليجمع أسرته فوجد أن أباه قد فارق الحياة، ومن ثم أتى ببقية الأسرة إلى غربي بلاد السودان. وحسب هذه الرواية فإن أصل الأسرة عربي والرجل الذي أتى إلى دار التعايشة وتزوج منهم هو علي الكرار والذي يسمى في مصدر أخر آدم ([4]).

ووفقاً للمؤرخ والباحث محمد إبراهيم أبو سليم إن هذه الروايات غير صحيحة وأن أسرة الخليفة لا يمكن نسبها إلى قبائل وسط غرب افريقيا. والأرجح هو إنتمائها إلى أصول عربية قبل قدومها إلى بلاد السودان ومن ثمّ انصهارها في قبيلة التعايشة بالمصاهرة. ويستدل أبو سليم على ذلك بأن الخليفة وطوال حياته لم يبدر منه ما يشير بميوله أو احساسه بالإنتماءإلى أية جهة أخرى بخلاف قبيلة التعايشة وقبائل البقارة الأخرى وكان هذا ديدنه في إختيار أعوانه لاحقاً من هذه العصبية. أما بطانته الخاصة في المناصب الكبرى فكانت من أقربائه وتلاميذ أبيه. ولم يبد الخليفة أي ميل إنتماء الى الفلاتة ولم يعتبر نفسه منهم ولا خَصَّاهم بإمارة كبيرة أو عمالة فالأمير خمدان ابو عنجو واخوه فضل المولى صابون من تلاميذ والد الخليفة وينتميان إلى التعايشة. وحسب أبو سليم تظهر في محررات الخليفة إلى حمدان عاطفة قربى ومحبه جياشه. وكان الأمير مساعد قيدوم أمير دنقلا من قبيلة الهبانية ، وكذلك كان إدريس الساير أمير السجن هبانياً. ولما توفي حمدان أبو عنجة عين الخليفة مكانه الأمير الزاكي طمل وهو أيضاً من البقارة وعين أخوه حامد طمل والياً على كسلا . كما كان عامل الخليفة في دارفور، عثمان آدم جانو، من نفس أسرة الخليفة من جهة الأم.. ويونس الدكيم وأخوه عثمان الدكيم إبنا عم الخليفة، تولى الأول الإمارة في القضارف ثم في دنقلا والثاني تولى إمارة بربر وهو ما ينطبق أيضاً على صالح حماد أمي الجزيرة من التعايشة. ولا يوجد ضمن القادة والأمراء والولاة من هو من قبيلة التكارنة او الفولاني او من قبائل غرب أفريقيا الأخرى. فالخليفة لم يختر منهم أميرا أو عاملاً كبيراً ولم يكن بين مستشاريه أحد منهم وبالتالي يسقط القول - حسب أبو سليم - بوجود أية صلة بين الفلاتة والبقارة فيما يتعلق بالمهدية كما يسقط القول بأن المهدية قامت على الوصية المشتركة بين القبيلتين وأن أهل النيل كانوا بعيدين عنهما[5].

كذلك ورد ذكر أسرة التعايشي في «كتاب تشحيذ الأذهان في بلاد العرب والسودان»، لكاتبه محمد التونسي بأنهم جماة من جهينة أتوا من ناحية تونس ، وموطنهم فى الجزء الجنوبي الغربي من كردفان [6].

والده هو محمد الملقب بـ «تور شين»، وهو اللقب نفسه الذي تلقب به عبدالله، ويعني الثور القوي الصعبأو الجاموس البري المعروف يشدة بأسه، وليس الشائن القبيح دلالة على دمامة وجهه كما زعم المؤرخ نعوم شقير[7]، في كتابه تاريخ وجغرافية السودان ولكن بسبب قوته الجسدية وشجاعته وقد كان شيخاً معروفاً من شيوخ الطريقة السمانية إحدى الطرق الصوفية السائدة في السودان، وعالماً من علماء علوم القرآن واللغة العربية قام بتدريس القرآن والفقه والحديث للعديد من أبناء قبائل دارفور وكردفان وورث عن أبوه زعامة الطريقة السمانية . ووفقاً للكاتبة فيفان كان للشيخ موسي الجدّ الأكبر الخليفة ثلاثة أبناء هم عمر وعثمان وعلي الكرار الجدّ المباشر للخليفة، ولهذا الأخير ثلاث أبناء هم محمد -والد الخليفة- وأحمد وحامد وثلاث بنات هن زهراء وحواء وخادم الغني. وقرر الشيخ موسى وكان واحداً من شيوخ الطريقة السمانية أن يذهب إلى دارفور ويستقر بجانب أتباع عشيرة أولاد أم صرة وأستقر وسطهم في دار التعايشة [8].

هجرة الخليفة عبدالله الى الجزيرة أبا :

على إثر الاضطرابات التي حدثت فى دارفور حوالى عام 1877م . إبان حرب الزبير باشا ، نزح السيد محمد، والد الخليفة عبدالله، وأسرته مهاجرين إلى الأراضي المقدسة تقدموا حتى وصلوا أبوركبة في دار الجمع فنزلوا عند الشيخ عساكر أبو كلام، زعيم قبيلة الجمع([9]). وهناك تعرفوا على الشيخ محمد ود مضوي، شيخ الطريقة السمانية وكان يتردد عليه محمد أحمد المهدي كثيراً. قبل الإعلان عن مهديته، وذلك ليساعده في خلاويه بالجزيرة أبا . وهناك تعرف محمد أحمد المهدي على ، على ود حلو وعلم بوصول أسرة التعايشي ومكانة محمد التقي، فبعث إليه بخطاب يخبره برغبته في تبادل الزيارات معه لكن محمد التقي توفي قبل وصول الرسالة. وبعد أن تم رفع المأتم كلفت الأسرة إبنها الأكبر عبدالله بالذهاب إلى الشيخ محمد أحمد استجابة لخطابه. غادر عبدالله أسرته التي تركها عند الشيخ عساكر واتجه نحو مناطق النيل الأبيض وسمع وهو في الطريق عن كرامات الشيخ المهدي ، أي أفعاله الخارقة للعادة، وكان أهل السودان في ذلك الوقت بما فيهم عبدالله يتوقعون ظهور المهدي المنتظر خاصة وأن والد عبدالله كان قد أوعز إلى ابنه بظهور المهدي في جهة البحر (أي النيل) وأنه سيكون خليفته. فكان عبدالله وغيره من الناس كلما رأوا رجلا ذو دراية كبيرة بعلوم الدين والورع ظنوه أنه هو المهدي المنتظر ([10]). ولما وصل عبدالله الى الجزيرة أبا لم يجد الشيخ محمد أحمد وعلم إنه ذهب إلى قرية طيبة القريبة من مدينة الحصاحيصا لبناء ضريح للشيخ القرشي ود الزين، أحد مشايخ الطريقة السمانية بالسودان،وواحد من الذين تتلمذ على يدهم محمد أحمد المهدي، فذهب إليه هناك والتقى به وكان ذلك في أواخر غام 1880م .أبدى محمد أحمد إهتماماً بعبدالله ورافقه في رحلة عودته إلى الجزيرة أبا . وهناك سأل عبدالله الشيخ محمد أحمد فيما إذا كان هو المهدي المنتظر فأجابه بالإيجاب وطلب منه عبدالله أن يعلن عن ذلك صراحة وخرج محمد أحمد ليعلن أنه هو المهدي وأن خليفته الأول هو عبدالله حسب ما أشير إليه في الحضرة النبوية . وكان أول من بايعه هو عبدالله واسماه خليفة أبي بكر الصديق .

الخليفة عبد الله ومكانته الروحية والزمنية فى المهدية :

كان عبدالله التعايشي قد أخذ عن الشيخ محمد شريف نور الدائم طريقته الصوفية وكان يكثر عليه القول بأنه هو المهدي المنتظر وأن من انكره كفر، لكن الشيخ محمد شريف نهاه عن ذلك وأخبره عن تلميذه السابق محمد أحمد الذي طرده واقصاه بسبب ادعائه المهدية. وعندما التقى التعايشي بمحمد أحمد وهو يبني قبة ضريح الشيخ القرشي بالمسلمية ([11]). حظي باهتمام بالغ منه فشجعه عبدالله على إعلانه مهديته وأقر محمد أحمد بأن عبد الله محمد هو أول خلفائه الأربعة. وكان الرجل من ألمع من اختارهم محمد أحمد خلفاء له وأقواهم شخصية في إدراكه لطبيعة المهدية ومغزاها وقد أعانه على ذلك كثرة ما كان يسمعه من أهله التعايشة وخصوصاً والده بالتنبؤ بظهور المهدي الذي من شأنه أنهاء الوجود التركي المصرى ومحو المظالم عن أهل السودان وإقامة دولة الشريعة التي تمتد لتشمل أجزاء واسعة من السودان الحالي.

في27يناير 1883م أصدر المهدي منشوراً حدد فيه مكانة الخليفة عبد الله الروحية والزمنية في نظام دولته ودعوته، وذكر فيه أن الخليفة عبد الله في الترتيب الهرمي للمهدية هو خليفة ابي بكر الصديق وهو أيضاً القائد العام لكل جيوش المهدية وقال المهدي في منشوره «إن الخليفة عبدالله جزء مني وإن كل ما يقوم به من أعمال هي إلهام من الله وليست من هواه أو رأيه الشخصي»([12]). وقد اشتهر عبدالله التعايشي بن محمد تورشين بقدرته القتالية وسط اتباع المهدي ومن حوله من أنصار. وجاء في المنشور الذي كان بمثابة اعلان من المهدي عن عصمة خليفته: (أعلموا أيها الأحباب ان الخليفة عبد الله، خليفة الصديق المقلد بقلائد الصدق والتصديق، فهو خليفة الخلفاء، وأمير جيوش المهدية المشار إليه في الحضرة النبوية! فذلك عبد الله بن محمد، حمد الله عاقبته في الدارين، فحيث علمتم أن الخليفة عبد الله هو مني وأنا منه وقد أشار سيد الوجود، فتأدبوا معه كتأدبكم معي، وسلموا إليه ظاهراً وباطناً، كتسليمكم لي وصدقوه في قوله، ولا تتهموه في فعله فجميع ما يفعله بأمر من النبي، أو بإذن منا فحيث فهمتهم ذلك، فالتكلم في حقه يورث الوبال والخزلان وسلب الإيمان، وأعلموا ان جميع أفعاله وأحكامه محمولة على الصواب لأنه أوتى الحكمة وفصل الخطاب) ([13]).

تأتى أهمية هذه الوثيقة بأنها كانت قراءة ذكية لغيب مخبؤ وتعاط مسئول مع واقع محتقن ، ووضعت هذه الوثيقة المهمة النقاط على الحروف من حيث توضيح مكانة الخليفة من الدعوة والدولة المهدية ، ولم يكتفى المهدى بذلك المنشور بل تبع ذلك بمنشور آخر يؤكد فيه مكانة الخليفة عبدالله وهى مضاهية لوظيفة الوزير الأول فى المصطلح الإسلامي أى بمثابة رئيس الوزراء وأمين سر الدولة ، من خلال المنشور الذى أرسله الى فخر الدين حسن المعلاوى والذى ورد فيه :(وقد أتانا خبر لخضر علية السلام أن الأولياء اجتمعوا فى بيت المقدس يقولون الحمد لله الذى أظهر المهدى وجعل عبدالله وزيره ، ومن ثم وجد إجتماع الشياطين يقولون ، كان عيشنا بالغش والمكر والخداع والكذب فأتى المهدي وقطع علينا عيشنا ولولا أن عبدالله وزير له ، ولو أن الخليفة غيره لكنا وجدنا فى المهدية مدخلاً) ([14]). ودون مناقشة تفصيلية فى العبارات الواردة فى المناشير السابقة ومدى مصداقيتها وواقعيتها فقد تم تمييز الخليفة عبد الله منذ حياة المهدى وجعل رئيساً عاماً على الإدارة ، والجند فهو بمثابة وزير الدفاع والمستشار الأول والأخير والنائب الأول، وبالتالي قدمه المهدى على الخليفتين الآخريين على ود حلو القائم مقام عمر الفاروق ومحمد شريف(ابن عم المهدى) ([15]) القائم مقام خليفة الكرار ، بهذا جعل المهدى الخليفة عبد الله نائباً له وقائداً عاماً على الجيوش منذ حياته ،وجاعلاً ابن عمة فى المرتبة التالته متجاوزً ببراعة وذكاء نتانة العصبية العرقية المهلكة متجاوزاً واحداً من أمراض السلطة القاتلة ، واضعاً أسس القومية لقيام دولة وطنية جامعة تعتمد على الكفاءة .

رغم أن معيار تقديم الكفاءة على الولاء ووضع أسس نظام إدارى قويم تجاوزه الخليفة نفسة فيما بعد نتيجة معطيات شكلت لدية معادلات أحلاها مر ، فوقع بوعي أو بدون وعي تحت حكم الإضطرار فى مستنقع القربي ، جاء ذلك بعد المواقف الصريحة والواضحة التى اتخذها

الأشراف ومن إنضم لهم من جهات النيل (اولاد البلد) ومحاولتهم إثارة العامة ضده مستغلين قرابتهم من المهدى ، مما أدى الى خلق حاجز سميكاً وقوياً بينة وبين الكثيرين منهم .

خلاصة الأمر كان المهدى هو روح الثورة ومنظرها ومفكرها وفيلسوفها والخليفة عبدالله هو رجل الإدارة والدولة والتنفيذ ، بمعنى أخر كان المهدى يقوم بالجانب النظرى والخليفة بالجانب العملي . وما ينبغي التأكيد عليه هو أن الخليفة عبد الله مهما اتفقنا أو إختلفنا معه بعيداً عما غرسه الإستعمار ورسخه بعض الأكاديميين وعززه بعض أنصار العرقيات أو الجهويات ، فقد إمتاز بدرجة من الذكاء وفراسة أهلته لمعرفة اولئك الذين لم تتاصل فيهم المهدية وتجريدهم من مناصبهم ([16]).

مبايعته:

عقب وفاة المهدي مباشرة صعد الخليفة عبدالله المنبر وخاطب الأنصار متسائلاً : «أيها المؤمنون أين سيد المرسلين أين حبيب رب العالمين . وهذا ما وعد الله آمنوا بالله ورسوله . ولقد حانت ساعته وهذا ما علمنا له الأمام المهدي بوضوح. إن كنتم تعبدون المهدي فإن المهدي قد مات ورحل، وإن كنتم تعبدون الله فإن الله حي لا يموت. ولا شك ان جميع الناس سوف يشربون من كأس الموت قولوا إنا لله وإنا إليه راجعون هكذا قاله سلفكم الصالح، واستحقوا بذلك صلوات الله ورحمته عليه أولئك هم المهتدون .» وواضح إن هذه الخطبة شبيهة بخطبة أبي بكر الصديق خليفة النبي محمد بعد وفاة النبي مباشرة ([17]).

ما ان انتهت مراسيم دفن المهدي، حتى قام الأشراف اقرباء المهدي مطالبين بالخلافة للخليفة محمد شريف، خليفة الكرا ، الا أن الخليفة على ود حلو ، أحد الخلفاء الذين عينهم المهدي، وقاضى الاسلام أحمد علي وأخرين قالوا لهم بأن الخلافة يجب أن تكون من حق الخليفة عبد الله حسب أوامر المهدي وحسب ترتيب الخلافة المحمدية . وأعادوا إلى أذهانهم إعلان المهدي ومنشوره بعد فتح الأبيض الذي أعلن فيه للجميع بأن الخليفة عبد الله هو منه.وأخذ الناس يتجاوبون مع هذا الكلام يومئون برؤوسهم موافقين بينما ظل الخليفة صامتاً حتى قام الفكي محمد الداداري أحد علماء قبيلة لفلاته ومن المستشارين السابقين للمهدي، وبادر برفع يد الخليفة عبد الله قائلاَ: (بايعناك يا خليفة المهدي) ([18]). ثم قام أحمد شرفي، كبير الأشراف أقارب المهدي وصهر المهدي، فأخذ سيف المهدي وعمامته و سلمها للخليفة عبد الله مردداً بايعناك يا خليفة المهدي ثم جاء بعده الخليفة علي ود حلو والسيد المكي وبايعاه وتبعهم بقية الحاضرين بما فيهم الخليفة شريف. وبعد البيعة القي الخليفة خطاباً قال فيه: «أعلموا أن الضعيف عندي قوي حتى آخذ له حقه من القوي وأن القوي فيكم عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه للضعيف.» ثم أصدر أول منشور له أمر بتوزيعه في كل مكان وتضمن الإعلان الرسمي عن وفاة المهدي وفيه ترحم الخليفة على روح المهدي الذي توفي يوم الإثنين8رمضان 1302هـ / 21يونيو 1885م وقت الضحى ودفن بعد صلاة الفجر داخل بيته بأم درمان في المكان الذي أقيم عليه ضريحه لاحقاَ. ثم كتب الخليفة إلى مشايخ السودان بالحضور إليه كافة إلى ام درمان لتجديد

البيعة وزيارة ضريح المهدي. أمتنع عن الحضور صالح الكباشي زعيم الكبابيش وموسى مادبو شيخ الرزيقات وعوض الكريم ابو سن شيخ الشكرية ومحمود ود زايد شيخ الضبانية الذي عفا عنه الخليفة لاحقاً بخلاف الممتنعين الآخرين الذين عاقبهم بالسجن[19].

معارضة الأشراف:

كان الأشراف أقرباء المهدي بزعامة الخليفة محمد شريف يرون بأنهم أحق بالخلافة من عبدالله تورشين وأوعزو ذلك إلى المهدي لكنه رفض طلبهم. وبعد وفاته بايعوا الخليفة عبدالله ولكن على مضض ثم جاء موت محمود عبدالقادر عامل الغرب في قتال مع النوبة وكان من الأشراف، . فعقد الأشراف اجتماعاً فيما بينهم للنظر في إمكانية أن يتولى أحدهم المنصب، وبلغ الخبر الخليفة الذي قام بسرعة بتعيين شخص يثق فيه. وأدرك نواياهم في توسيع نفوذهم فظل يعمل بصمت في استغلال أية سانحة تمكنه من تجريدهم من الأسلحة والنفوذ وسحب راياتهم وقطع المرتبات المالية عنهم وتم له ذلك، فساءت العلاقة بينه وبينهم وسادت الشائعات لتحل محل المصارحة والتشاور حتى سرت شائعة تقول بأن الخليفة عبدالله ينوي القبض على زعيمهم الخليفة شريف. عقد الأشراف مجددا اجتماعاً في نوفمبر 1891م ، قرروا فيه الإطاحة بالخليفة قسراً والقبض على ناصية الأمور في البلاد. أعد الخليفة شريف الخطة سراً مع اثنين من أبناء المهدي الصغار[20]. وقاموا بكسر أبواب أحد مخازن السلاح واستولوا على اسلحة ثم تجمهرت اعداد كبيرة منهم حول قبة المهدي التي تواجه بيت الخليفة. علم الخليفة بما حدث فأصدر أوامره لمواجهة التمرد بإعلان حالة التأهب وسط قوات الملازمين وهي بمثابة حرس رئاسي، وقوات الجهادية المسلحة بأسلحة نارية وقوات الراية الزرقاء وأمر أخاه الأمير يعقوب جراب الرأي باحتلال المسجد، وهو ساحة كبيرة مجاورة لبيت الخليفة. حدث تراشق طفيف بالنيران انتهى في وقت قصير وقدرت الخسارة بخمس قتلى [21]. إلا أن الخليفة عبدالله لم يكن يرغب في تصعيد الأمر لبلوغ مواجهة عسكرية شاملة قد تحدث فوضى في العاصمة يصعب السيطرة عليها وتقوم جماعات البقارة الوافدة بنهب المدينة والعودة إلى ديارها، فأرسل إلى الأمير علي ود حلو يدعوه إلى التوسط لحل الأزمة وأن يطلب من الخليفة شريف تقديم طلباته وشروطه. وتم الاتفاق علي أن يقوم الخليفة عبدالله برد الاعتبار للخليفة محمد شريف وإعادة رايته إليه وأن يجعله من أهل المشورة، ويمنحه معاشا شهرياَ هو وأبناء وأرامل المهدي ثم اصدار عفو عام على من حملوا السلاح ضده. وفي المقابل، يقوم الأشراف بتسليم أسلحتهم ويعلنون خضوعهم لسلطة الخليفة [22] . وكان الخليفة شريف قد اشترط ايضاً عزل كل من الأمير يعقوب محمد وقاضي الإسلام أحمد علي واطلاق سراح الأمير خالد زقل ، الذي كان قد اعتقل عندما كان في طريقه لمساندة الأشراف وهي الشروط التي تم التنازل عنها ولكنها زادت من حنق الأمير يعقوب والقاضي أحمد علي على الخليفة شريف والأشراف.

أصر القاضي أحمد علي الذي كان يحمل ضغينة ضد الخليفة محمد شريف على محاكمة المتمردين بذريعة أنه لا يُؤمَن جانبهم وحتى يكون عقابهم رادعاً لمن يفكر في إحداث فتنة وحاول إقناع الخليفة بأنه في حلٍّ مما وعد به. وجمع مجلسه القضائي وحكم على زعماء وقادة الاشراف

الذين شاركوا فيما وصفه بالفتنة بقطع رؤوسهم وقطع أرجل وأيادي الباقين من خلاف. لم يوافق الخليفة على ذلك وكذلك اعترض السيد المكي إسماعيل الولى وهو دنقلاوي من أنصار المهدي في كردفان ومن اوائل الذين بايعوا الخليفة، مقترحاً نفيهم إذا كان الغرض من المحاكمة هو اتقاء شرهم. وبعد جدل وأخذ وعطاء تم الاتفاق في نهاية المطاف على نفي قادة المحاولة وهم أحمد ود سليمان أمين بيت المال و فوزي محمود وشقيقه حمدي كاتبا الخليفة، وأحمد النور كاتب الخليفة محمد شريف، وكل من أحمد محمد خير و صالح ود سوار الذهب وسعيد محمد فرح أحد زعماء القبائل في دنقلا الى فشودة فى جنوب السودان ، لكن ما حدث هو أن تم قتلهم هناك فقد عقد القاضي أحمد جلسة أخرى غيابية وقضى باعدامهم وأوكل أمير فشودة الزاكي طمل بتنفيذها. وكان من الطبيعي أن يبدي الخليفة شريف سخطه على ما جرى ويعبّر عن استيائه فانقطع عن صلاة الجمعة والجماعة مع الخليفة وكان ذلك بمثابة عصيان أدى بالخليفة إلى عقد مجلس محاسبة يضم 46 عضوا من الأمراء والقضاة في 2مارس 1892م ، أدانوا فيه الخليفة شريف الذي قابلهم عند اللقاء به بالجفاء وأقبح الألفاظ فقرروا سجنه وهكذا ظل الخليفة شريف في السجن حتى وردت انباء تحركات الجيش المصري الإنجليزي في الحدود فتم إطلاق سراحه لتوحيد الجبهة الداخلية ضد الغزو وبعد معركة كررى تم القاء القبض عليه ونقل إلى سجن رشيد بمصر وبقي فيه حتى مماته ([23]).

إدارة الدولة :

أدار الخليفة عبد الله الدولة السودانية خلال 14 عاماً. حيث بدأ حكمه يوم وفاة المهدي في 22 يونيو 1885م وحتى تاريخ وفاته هو بأم دبيكرات يوم الجمعة 24 نوفمبر 1899م ، تمددت فيها الدولة المركزية، وعاصمتها ام درمان ، وبين دارفور فى الغرب وإلى البحر الأحمر شرقاً ، ومن نمولي فى أقاصي لجنوب الى دنقلا عند أدنى الشمال، لكنه واجه صعوبات داخلية جمه منها خلافاته مع الأشراف الذين جاهروا له بالعداء وأظهروا عدم طاعتهم له ولحكومته وتحديات خارجية كأطماع القوى الإستعمارية المحدقة بدولته وأخطار الغزو الخارجي من جهة الشمال ترك المهدي لخليفته تركة مثقلة بالمشاكل الداخلية والمسؤوليات الجسام فكثير من اتباع المهدية واركان دولتها سلموا لها كرهاً وخوفاً على رقابهم وأموالهم وكثير منهم لم ينه ولائه لشيوخ طريقته الصوفية ووفقا للمؤرخ السوداني مكي شبيكة فإن المهدي ذكر أن هناك ستة من البشر لا يرضون بأمره وهم: «العالم والظالم و الأتراك و ربائبهم الذين تربوا في كنفهم وأهل الشأن وأهل البرهان الذين يريدون ادلة على مهدية المهدي» . وبعض هؤلاء شغل وظائف إدارية وتبوأ مناصب تنفيذية و اضطلع بمهام قضائية في الدولة فكان فيهم المحاسبين والإداريين والقضاة والكتبة والمترجمين([24]). وبوفاة المهدي بدأت هذه العناصر في الجهر برفضها وعصيانها للمهدية، وقابل الخليفة ذلك بتدابير احترازية وإجراءات ردعية تارة باللين وتارة بالحيلة وتارة ثالثة بالقسوة وكان أولها هو أن يحيط نفسه بمن يثق فيهم. فعين أخاه الأمير يعقوب محمد الملقب بجراب الرأى مساعداً له يشرف على الجيش وعلى بيت المال ويعني بشؤون محطات الحدود والعبور و بأمور العاصمة أم درمان.

كذلك أراد الخليفة أن يسند مركزه بقبائل البقارة التي ينتمي إليها وبالأخص عشيرته التعايشة ، فأوعز برحيل جزء كبير منها إلى أم درمان تحت حجة زيارة ضريح الأمام المهدي والإقامة بجواره. ولما أدرك معارضوه مغزى سياسته هذه وتبين لهم إنه يريد اقصائهم عن شؤون الحكم والإدارة ويستبدلهم بأنصاره وأبناء عشيرته وذويه أبدوا تذمرهم علناً خاصة الأشراف أقرباء المهدي الذين اصطدموا معه عسكرياُ أكثر من مرة ([25]) . واجه الخليفة عبد الله مصاعب أخرى وتحديات منها مسألة تنظيم الدولة والإدارة والنهوض بها من انقاض التركية السابقة التى قضي الأنصار على ما تبقى منها عند فتحهم الخرطوم، ومسألة الخلافات الداخلية بين أمراء وقادة جيوشه وعصيان بعض القبائل وتمردها عليه والتهديدات الخارجية بما فيها التهديدات الإنجليزية فى جهة دنقلا ، والإيطالية فى جهات كسلا والقلابات والحروب مع الحبشة ووجود جيوب جيوش أجنبية في منطقة الإستوائي (جنوب السودان حالياً) وآثار المجاعة التي ضربت أطنابها بالبلاد وغير ذلك من المشاكل الأخرى المتنوعة. وذكر المؤرخ نعوم شقير بأنه لولا الدهاء والحزم الذي فُطِر عليهما عبد الله التعايشي لتصدعت أركان الدولة المهدية وعمت الفوضى السودان ([26]) .

السياسة الداخلية :

تبنى الخليفة سياسة داخلية ارتكزت على ثلاث دعامات:

1. الحفاظ عى شعائر المهدية إذ لاشئ يربطة بأنصاره سواها ولا شرعية أو حجية له فى الحكم إلا بها .
2. مراقبة المناوئين لحكمة والرافضين لخلافته والمنافسين له على السلطة ومعاقبة المتمردين منهم بالتنكيل بهم ونفيهم أو سجنهم أو حتى تدبير قتلهم متى سنحت فرصة إرتكابهم خطأ فادحاً مميتاً .
3. حصر المناصب العليا فى أهله التعايشة ومريدية من الجماعات الأخرى ([27]).

قسم الخليفة السودان إدارياً إلى ثمان عمالات هى : الجزيرة، وشرق النيل الأكبر، وغرب النيل الأكبر، وجبال ادريس، وغرب بحر ابيض، وشات، والبادية الغربية، والبادية الشرقية، إلى جانب عمالة الشلك والدينكا ومديرية فشودة بالجنوب. وكان لكل عمالة عامل يرأسها وينفذ ما يصدر إليه من أوامر و قرارات ومنشورات تصدر من العاصمة أم درمان وخزانة خاصة بها تتمثل في بيت مال المال العمالة وقاضي ونائب قاضي ([28]). وأوكل القضاء العالي في الدولة إلى قاضي الإسلام باعتباره أعلى سلطة قضائية وهي الوظيفة التي تولاها أول مرة القاضي أحمد علي تلاه حسين ود الزهرة من قبيلة الجعليين وكان خريجا من الأزهر الشريف بمصر. ويلي قاضي الإسلام في الترتيب قضاة محاكم العمالات وقاضي الملازمين بأم درمان وهو أشبه بالشرطة العسكرية الحالية ، والذي يعني بضبط سلوك افراد القوات العسكرية ومحاسبتهم. كما كان هناك قاضيان لبيت المال يفصلان في القضايا ذات الصلة بالمال العام ([29]) . وكانت الشريعة هى المصدر الأساسي للحكم إلى جانب تعاليم المهدي. ويودع المحكوم عليهم بعقوبة السجن في سجن الساير بأم درمان (دار الرياضة حالياً) الذي اطلق عليه هذا الاسم نسبة إلى رئيسه إدريس الساير([30]). عرف

نظام العقوبات في دولة المهدية ممارسات التعذيب والإعدامات والنفي . وأورد المؤرخ مكي شبيكة عمالات بربر ودنقلا والغرب وكسلا كعمالات كبرى تخضع للرقابة المباشرة للسلطة المركزية في أم درمان أي للخليفة، وإن العامل يتولى الإدارة وقيادة الجيش في عمالته. أما الأمراء فهم يتركزون فى حاميات حدودية لحماية المنافذ التي عرفت باسم البوغازات ويخضعون لعمال العمالات ([31]). وتمثل بيت المال خزينة الدولة ومصادرها الزكاة والغنائم و نظام ضريبي يشمل العشور الجمركية وخراج الضمغ العربي وغلة الأرض وجباية القوارب وقروض من التجار واتاوات العبور وحصة الحكومة المركزية في أم درمان من بيوت أموال العمالات بالأقاليم ([32]). كما قام الخليفة بضرب نقود فضية منها «ريال المهدي» و«المقبول» «وأبو بدر» «وأبو كيس» الذي كان يحمل رسم رمحين متقاطعين([33]). وبالنسبة للتعليم فقد أنشأ الخليفة بعض المدارس واقتصر تعليمها على الكتابة والقراءة وتأهيل المعلمين إلى جانب التعليم الديني التقليدي الذي كانت تعني به الخلاوي والزوايا واستعان الخليفة ببعض الأقباط فى مجال الكتابة والحسابات والادارة الحكومية ومن بينهم المسيحي القبطي يوسف ميخائيل الذي كان يستشيره الخليفة أحيانا في بعض الأمور الخارجية كما كان بعض التلاميذ يلتحقون ببيت المال للتدريب والعمل فيها بعد إكمال دراستهم الأولية في المساجد.

ما العاصمة أم درمان التي اطلق عليها المهدي اسم البقعة فقد تطورت من قرية خيام و أكواخ إلى مدينة كبيرة واهتم الخليفة بعمرانها مستخدماً مواد بناء من أنقاض الخرطوم التى تم هجرها فشيد فيها ضريحاً للمهدي باسم قبة المهدي وأقام سوراً من الطوب الآجر حول المسجد الذي بناه المهدي وهو عبارة عن ساحة مفتوحة على الهواء بلا سقف ومآذن ويجتمع فيها جميع الأنصار للصلاة فيها فقد كانت المسجد الوحيد في المدينة كما اهتم الخليفة ببعض الشوارع الرئيسية في المدينة وقسمت الأحياء السكنية على أساس قبلي مثل حي ود نوباوي او عسكري مثل حي الملازمين . وفيما يتعلق بالتجارة فإنها حسب رأي سلاطين باشا قد ازدهرت بعد كساد أصابها خاصة بعد قيام بعض التجار السودانيين بتهريب الحلى الفضية والذهبية، بعد سقوط الخرطوم إلى أسوان بكميات كبيرة «فأصدر الخليفة أوامر متشددة للتجار بعدم حمل الذهب والفضة معهم إلى مصر مهما كانت حاجتهم لها هناك وسمح فقط بمقدار من المال تحدده بيت المال حتى لا يضيع المال العام في إنفاق غير مشروع في نظر الخليفة الذي لم يكتف بذلك بل جعل العملة التي يحملونها من الطراز القديم على أن تحدد قيمتها في جواز سفر التاجر([34]). ولكن من ناحية أخرى أهمل الخليفة قطاع الزراعة وركز على صناعة الأسلحة والمراكب ولكنه أبقى على الترسانة وخط التلغراف وانشأ معملاً لصناعة الصابون ([35]) . ولذلك لم يكن غريباً تعرض البلاد إلى مجاعة.

إن الكوارث التي ألمت بعهد الخليفة هو تعرض البلاد إلى مجاعة ضربت أيضا عدداً من بلدان الساحل الإفريقي فى سنة 1881م ، نتيجة الجدب والجفاف وعُرفت في السودان «بمجاعة سنة ست» نسبة إلى العام الهجري 1306هـ الذي وقعت فيه. وقد تأثر بها السودان كله تقريباً شرقه

وغربه ووسطه وشماله. وتتفق المصادر التاريخية على أن سبب المجاعة في السودان لم يقتصر على موجة الجفاف وشح الأمطار، بل إلى تضافر عوامل أخرى أدت إلى تفاقمها . منها عدم الاستقرار السياسي، الحروب المتعددة ، انشغال المزارعين الذين هجروا الزراعة بسبب الإنخراط في الجهاد والقتال، وتهجير جماعات كبيرة من غرب السودان والجزيرة وإلى أم درمان لمناصرة الخليفة في الصراع السياسي مع الأشراف . ويضيف بابكر بدرى فى كتابه تاريخ حياتي أنها آفة الجراد التى اكتسحت البلاد آنذاك ([36]) .

مشاكل الحكومة المركزية مع الأقاليم :

بغض النظر عن سياسة التهجير التي تعمدها الخليفة وما نجم عنها من مشاكل فقد لقي الخليفة وهو القادم من أقصى الغرب مدفوعاً بحماس الدعوة للمهدية ونصرتها، متاعب أيضاً من قبائل كردفان ودارفور مثل الكبابيش والرزيقات والفور والمساليت والميدوب والماهرية والزبادية والهبانية وبني هلبة بدرجة أكثر شدة ومرارة مما شهده من متاعب من قبائل تقيم على النيل. فتمردت قبائل النوبة في الجبال وجاهر زعيم الرزيقات مادبو بعصيانه للخليفة حتى قتل واتصل الشيخ صالح بك زعيم قبيلة الكبابيش بالحكومة المصرية طالبا المعونة العسكرية لمحاربة الخليفة وطالب الأمير يوسف في دار فور بعرش أجداده قبل مقتله وفي دار تامة تزعم الفكي أبو جميزة قبائل غرب دارفور ولقب نفسه بالخليفة الرابع للمهدي وخليفة عثمان بن عفان قبل أن يموت بوباء الجدري ([37]) .

الجيش :

بلغ عدد أفراد قواته 150 ألف منهم 46 ألف من المشاة حملة السيوف والرماح والسهام و66 ألف من فرسان الخيالة و36 ألف من الجهادية المسلحين بالأسلحة النارية ويتضاعف عدد القوات عندما ينضم اليها متطوعي القبائل و هناك حوالي 60 إلى 70 ألف من هجانة البريد راكبو الجمال. وأما ترسانته العسكرية فكانت تتكون من 74 مدفعا منها 6 مدافع من طراز كروب ذات الفوهة الواسعة و حوالي 40350 قطعة من البنادق المختلفة نصفها تقريبا من طراز ريمنجتون.([38]) وقد توسعت الدولة في عهده فزادت حاميات المدن الحدودية كما في مناطق كسلا والقلابات ووادى حلفا وحتى في أقصى الجنوب كما فى فشودة . وكان الجيش كله تحت قيادة الأمير يعقوب ، شقيق الخليفة. وينقسم الجيش إلى 6 أقسام الجهادية وهي قوات نظامية مسلحة بأسلحة نارية وقائدها جاموس النوبي والملازمين وهي حرس الخليفة وقائدهم الأمير عثمان شيخ الدين ، ابن الخليفة، والكارة بقيادة إبراهيم الخليل، الراية الزرقاء بقيادة الأمير يعقوب، والراية الصفراء بقيادة الخليفة محمد شريف والراية الخضراء بقيادة الخليفة على ود حلو . وتعتبر فرقة الملازمين وهي الأكثر تنظيماً وتسليحاً وهي بمثابة الحرس الخاص بالخليفة وتتكون من الجهادية السود و اولاد العرب وقائدهم هو الأمير شيخ الدين. وقد حافظ الخليفة على نظم التدريب والفنون الحربية التي كانت في عهد التركية مع تغيير بطبيعة الحال في العقيدة العسكرية والمسميات والمصطلحات العسكرية (فمثلاً تحولت كلمة صفدن التركية إلى اليمين دور،

وصلدن إلى شمالك وكلمة حاز دور إلى اللهم أنصر راح دور إلى اللهم أستر([39]) .

السرية هي الوحدة الرئيسية في التنظيم الحربي في جيش الخليفة وتتكون من مائة مقاتل بقيادة رأس المية وتحت قيادته خمسة مقاديم (المفرد مقدم) على رأس الفصائل وكل فصيل مكون من 20 مقاتل. ويقود الجيوش الأمراء. وكان الخليفة في بداية عهده يستعرض جيشه اسبوعياً كل يوم جمعة في ساحة العرضة غرب أم درما ن (حي العرضة حاليا) ، ثم اصبح العرض العسكري ينظم 4 مرات في العام خلال احتفالات عيد الفطر وعيد الأضحي والمولد النبوي الشريف و عاشوراء . وتشارك فيه فرق عسكرية من خارج أم درمان تعرض فنونها القتالية وجاهزيتها ولياقتها البدنية واسلحتها ([40]).

السياسة الخارجية :

إعتمد الخليفة عبدالله التعايشي فى سياسته الخارجية على فلسفة وأيدلوجية الثورة المهدية التى إعتبرت كل البلاد التى لم تؤمن بالمهدية هى ديار حرب ويجب نشر المهدية بها ، لذا تركزت سياسته على نشر الدعوة للمهدية عن طريق فتح الأمصار استمرارا لسياسة خَلَفَه المهدي ولذلك أرسل رسائل تنطوي على تحذير وترغيب إلى كل من الخديوي توفيق خديوي مصر والملكة فكتوريا ملكة بريطانيا والسلطان عبد الحميد سلطان الدولة العثمانية ، كما كتب الى قبائل الحجار وأهل المدينة المنورة ، ومحمد السنوسي فى ليبيا والسلطان محمد يوسف سلطان وداى والسلطان حياتو بن محمد بلو سلطان سوكتو فى نيجيريا والإمبراطور منليك الثاني إمبراطور الحبشة ورابح الزبير فى وداى ([41]).

ففي رسالته إلى الخديوي توفيق يقول: (لو كان قصدي من هذا الأمر ملك الدنيا الزائل ، لكان في السودان وملحقاتها كفاية كما تعلم من اتساعها وتنوع ثمراتها ، ولكن القصد هو إحياء السنة المحمدية والطريقة النبوية). أما رسالته إلى الملكة فيكتوريا فقد ذكر فيها بأنه خليفة المهدي المنتظر القافي أثره. ودعاها إلى الإسلام قائلاً: (إن إسلمتِ واتبعتِ المهدي عليه السلام وأذعنتِ لحكمي فإني ابشرك بالخير والنجاة من عذاب السعير) وحذرها من مغبة الظن بأن جيوش المهدية تتخاذل عن نصرته ولا تستطيع الدفاع عن نفسها، (فهذا توهم فاسد وغرور كاسد فرجال المهدية رجال طبعهم الله على حب الموت فصاروا أشداء على الكفار) . وفي رسالته إلى السلطان عبدالحميد خاطبه قائلا: (ومع كونك تدعي إنك سلطان الأسلام القائم بتأييد سنة خير الأنام فمالك معرضاً عن إجابة داعي الله إلى هذا الآن، ومقراً رعيتك على محاربة حزب الله وصرفت مجهودك في إعانة أهل الأصنام على هدم أركان الإسلام) ([42]). وشن الخليفة حروباَ على الحبشة . حيث ارسل أولا الأمير حمدان ابو عنجة ، ثم الأمير الزاكي طمل الذي هزم جيش الأحباش . وتوغل حتى مدينة غندار بعد مصرع الإمبراطور يوهانس الرابع . كما حاول الخليفة فتح مصر وارسل حملة بقيادة الأمير عبد الرحمن النجومي ودخل في مناوشات عسكرية مع الإيطاليين في الحدود الشرقية للسودان([43]) . وكان الخليفة قد أبرم معاهدة مع الإمبراطور منليك الثاني ملك ملوك الحبشة وبمقتضاها تنازل منليك لحكومة الخليفة عن أراض متاخمة للسودان

لكن الخليفة أمر لاحقاً بحرق المعاهدة. ورغم علاقة العداء التي كانت بينه وبين الحبشة بعث منليك بمبعوث إلى الخليفة سلمه راية فرنسية لكي يرفعها في حدود ملكه في وادي حلفا حتى يكون تحت حماية فرنسا على غرار حمايتها على تونس والمغرب وبذلك لا تستطيع القوات البريطانية غزو السودان. لكن الخليفة تغاضى عن ذلك ([44]). وقد أدت سياسة الخليفة تجاه الحبشة إلى تغيير موازين الحكم فيها حيث انتقل الحكم من قومية التقراى بعد مصرع الأمبراطور يوهانس الذي ينتمي إليها إلى قومية الأمهرا بقيادة الأمبراطور منيليك الأول وأستمرت السلالات الأمهرية في حكم أثيوبيا حتى عام 1970 عندما أنقلب الجيش عليه بزعامة منقسنو هيلا ماريام ثم عودة التيقراي إلى سدة الحكم فيها بعد دخول قوات جبهة تحرير شعب التيقراي مع حلفائها إلى العاصمة أديس أبابا بقيادة ملس زيناوي في عام 1991م .

نجاحات وإخفاقات :

رغم التحديات الخارجية التي تزامنت مع فترة حكم الخليفة عبد الله كالمطامع الدولية من كل من إنجلترا ومصر وفرنسا والحبشة ، إلا أن فترة صاحبت نجاحات واخفاقات كحال كل تجارب الحكم والإدارة .

النجاحات :

نجح في إدارة دولته والحفاظ على حدودها في كافة الجبهات وأثر في تشكيل خارطة الأنظمة في الإقليم. ففي اثيوبيا مثلاً استطاع الخليفة تغيير نظام الحكم بقتل الأمبراطوريوهانس الرابع وإنهاء حكم مجموعة التقراي في شمال الحبشة وبإتاحة الفرصة للآمهرا لتنصيب كبيرهم منليك ملكاً على ملوك الحبشة. وعلى صعيد تأمين الدولة، أُكمل الخليفة عملية الاستيلاء على سنار لضمان ولاء المناطق الجنوبية حتى منابع النيل الأزرق كما عزز تأمين الحدود الشمالية بدعم الموقف في دنقلا ، تحسباً لهجمات الحكومة المصرية. أما في الشرق، ثارت قوات الخليفة بقيادة الأمير عثمان دقنة ضد الحاميات التركية هناك فحررت كسلا وأغارت على سواكن وواصلت نشاطها حتى تمكنت من احتلال طوكر سنة 1889م.

الإخفاقات : فتتمثل في الطموح غير المحدود في تصدير الثورة المهدية والذي كان في بعض الأحيان هو السمة الأبرز للدولة المهدية وقادتها، على سبيل المثال :

محاولة غزو مصر دون الإعداد لذلك إعداداً جيداً :

الإقدام على غزو الحبشة وهدم مملكتها دون تحقيق هدف معين (إذ لم يرسل من يقوم بدعوة الأحباش لإعتناق الاسلام ومن ثم المهدية) أوتحقيق نصر نهائي حاسم ، بإستثناء القضاء على المعارضين الذين لجأوا للأراضي الحبشية . وكل الذى حدث فتحت الجبهة الشرقية لإفريقية للإمبريالية العالمية ممثلة في الوجود الإيطالي في الشرق ، فبزوال يد يوحنا القوية اصبحت الدولة المهدية في مواجهة القوى الاستعمارية الاروبية ، ولم يمضي وقت طويل حتى قدمت بريطانيا المساعدة لحليفتها ايطاليا وذلك للقيام بعمل عسكرى في جهات دنقلا لصرف انظار الخليفة عن الوجود الإيطالي في الشرق .

دعى الخليفة الملكة فكتوريا لإعتناق الإسلام وعرض عليها الزواج باحد أمراء دولة المهدية إن هو وافق .

تضارب الأراء حول شخصية الخليفة وسياسته :

ما زال الاختلاف سائدا حول الخليفة ودوره في الحركة المهدية وسقوط السودان في يد الاستعمار. حيث تتعدد المراجع التاريخية التي تصفه بالظلم ووجهت انتقادات شديدة اللهجة إلى شخصية الخليفة وسياساته وإدارته للبلاد وذلك في حملات دعائية اثناء حياته وبعد مماته واستندت تلك الانتقادات إلى عدة جهات ومصادر أهمها:

سلاطين : هو أحد الأسرى الذين تمكنوا من الهرب من سجن الخليفة بأم درمان وهو صاحب كتاب السيف والنار وهو نمساوى قدم للسودان خلال حكم غردون باشا ، شارلس نيوفيلد الذى ألف كتاباً بعنوان فى سجن الخليفة ، إثنتي عشر عاماً من الأسر فى أم درمان .

ماتبقي من موظفي الإدارة التركية السابقة ومن بينهم إبراهيم فوزى مؤلف كتاب السودان بين يدي غردون وكتشنر .

القساوسة والرهبان ومن بينهم الأب جوزف أوهرفالدر مؤلف كتاب عشر سنوات من الأس فى معسكر المهدي .

الزعماء والقبائل والجماعات السودانية الذين دخلوا فى صراع مع الخليفة حول السلطة أو الذين تمردوا على السلطة المركزية أو الذين تعاونوا مع العدو وتعرضوا لحملات إنتقام أو تأديب من جانبه وصوره هؤلاء بأنه حاكماً متسلطاً متعطشاً لدماء ، ظالماً ، شهوانياً ومحب للسلطة كثير الشك على من حولة متوجساً وخائفاً على حكمة .

الاصوات المناوئة للخليفة والمدافعة عنه :

(1) إعترف المدافعون عنه بأنه كان قاسياَ بلا رحمة ولكن إزاء معارضيه. وهو مقارنة بالطغاة أو زعماء الدول الآخرين في عصره لم يكن أكثرهم قسوة. لقد اضطر للقسوة على الذين عارضوه، فقد كان مؤمنا مخلصا بالمهدية وكانت أقوال المهدي قانونا لديه. وقد قال عنه المهدي عند فتح الأبيض « جميع ما يفعله بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم أو بإذن منا لا بمجرد اجتهاد منه و ليس عن هوى « وقد كان يشعر انه موجه شانه في ذلك شأن جميع من يعتقدون انهم مسخرون لتنفيذ مشيئة الله وكان يتصرف وفقا لما يعتقد انه إلهام رباني . ولم يكن يقتل رغبة في القتل وإنما حماية لنفسه وسلطته والقبائل التي حاربها الخليفة كانت قد ارتكبت افعالاً تشكل جرائم في أي نظام وتقول الكاتبة الفرنسية فيفان «يجب ألا يُلام على قسوته تجاه قبيلة سودانية كان قد أُدين أفرادها وزعمائها بجريمتين كبيرتين بمقتضى القانونين العسكري والمدني. الفرار من الجيش في وقت الحرب كالذين فروا من جيش الأمير عبد الرحمن النجومي فأصبحوا بذلك مدانين بتهمة الفرار أمام العدو وكذلك الفرار من الجهاد. ولدى عودتهم إلى ديارهم، استأنفوا أعمال السلب والنهب واستحقوا لذلك عقوبتي الاعدام والقطع من خلاف. فعقابهم لم يكن رغبة في الانتقام

وإنما كان الخليفة يطبق القانون[45] . هناك أيضاً من تخابر مع العدو وتعاون معه في إعادة استرداد السودان، أو رفض الوقوف معه ضد العدو. فالأمير عبد الله ود سعد ، رفض الإذعان إلى أوامر الخليفة بإجلاء مدينة المتمة وأعلن تمرده عليه جهرة وتعاون مع الجيش الغازي[46] . وهو ما أكده إبراهيم فوزي والأب أورفالدر بالنسبة للبطاحين عندما اشارا إلى أن رفض البطاحين دفع ضريبة العشور وقاوموا رسل الخليفة واجبروهم على الفرار وقتلوا بعض رجالهم ، مما أدى إلى غضب الخليفة وقراره بأن يتعامل معهم بأقسى اسلوب ، فأرسل إليهم قوة كبيرة بقيادة الأمير عبدالباقي الذي قبض على زعمائهم واقتاد 69 منهم إلى أم درمان حيث تم اعدامهم بالشنق وبقطع الرؤوس[47] . وبابكر بدري الذي القى اللائمة على رجال المتمة الذين ارتكبوا الكثير من الحماقات كما ذكر حيث قاموا برمي النساء في النهر حتى لا يتعرضوا للإغتصاب.

(2) وصف أعداء الخليفة ومنتقدوه نظامه بالظلم وحب الاستيلاء على ممتلكات الغير، إلا أن أنصاره يفندون ذلك بسرد قصة حادثتان لتأكيد حرصه على العدل ونفي ما يتهم به من ظلم، الأولى هي قصة زعيم العبدلاب، ناصر ود جمعة، وسيفه الشهير بصرامته وحدته. وتقول القصة بأن الخليفة سمع بالسيف وأثار بعض الحساد حفيظته على ناصر. فاستدعاه وطلب منه سيفه. وقال الخليفة عندما رأي السيف هذا سيف يبدو مثل أي سيف آخر فاخبره ناصر بأنه ورث السيف من أبيه وقتل به أكثر من أربعين شخصاً في حرب أبو روف، وهو سيف حاد يقطع من شدة حدته البندقية وحاملها إلى نصفين. أعاد الخليفة السيف إلى صاحبه وقال له: «خذ سيفك يا ناصر لأنك رجل أمين ومستقيم». فلو كان الخليفة ظالماً لما تجرأ رجل من رعاياه على تقديم شكوى ضده ولا انبرى قاضي بإصدار حكم ضده يدينه ويأمره بإعادة الحق لأصحابه[48] .

(3) أما قصة موت الأمير الزاكي طمل ، الذي كان الخليفة قد وضعه رهن الإعتقال ريثما يدرس الاتهامات الموجهة ضده. غير أن أوامره تم تجاوزها. وعندما علم الخليفة بموت الزاكي، أمر في الحال أن يزج بقاضي الإسلام، أحمد علي، الذي كان سبباً في ذلك في السجن ويعامل بالطريقة نفسها التي عامل بها الزاكي طمل حتى يموت[49]. هناك من يرى بأن الخليفة كان يشعر ببراءة الزاكي و اخلاصه ولكنه اذعن لحكم المحكمة، فقد استغرب كثيرا عن وفاته المبكرة وسأل عن سببها فقيل له إجتباس البول . وهو أمر لم يسمع به الخليفة من قبل رغم سؤاله الكثير عنه وعندما علم بحقيقة منع الطعام عن الزاكي حكم الخليفة على القاضي أحمد بأن يحبس هو الآخر في السجن حتى يموت جوعا بالطريقة ذاتها التي استخدمها القاضي أحمد لقتل الزاكي. وذكر عصمت حسن زلفو إن الخليفة قد أسف على موت الأمير الزاكي وقال: (هو الذي هزم جيش الطليان و قهره،إنه ليس بالرجل الهيّن الذي لا يؤسف على موته بهذه الصفة) [50] . ويرجع التنافس والغيرة بين أحمد ود علي والزاكي إلى اختيار الخليفة

للزاكي في تولي إمارة القلابات بدلاً عن القاضي أحمد الذي كان يتطلع لذلك المنصب لأن الخليفة رأى في الزاكي قائدا أنسب للقيام بالمهام هناك. كذلك زاد من حنق القاضي أحمد على الزاكي هو ما نقل عن الزاكي والمشهور بقوة الحجة وذرابة اللسان قوله (بأن القاضي لا ينبغي له أن يملك خيلاً، بل له فقط أن يركب حمارا) وذلك عندما شاهد مجموعة من الجياد في العاصمة أم درمان، سأل عنها وقيل له بأن صاحبها هو القاضي أحمد[51] ، وقيل هي إبل[52].. وكان أحمد ود علي قد أوعز إلى الخليفة بأن الزاكي أخذ يطغى ويجاهر بأنه هو صانع انتصارات الخليفة وأنه اتى إلى الخليفة بمغانم كثيرة من الحبشة من بينها تاج الأمبراطوو وبغاله ، وأنه قام ببناء قصر من طابقين جمع من الأهالي البيض لأستخدام صفار البيض في زخرفة جدران قصره في وقت نهى فيه الخليفة أمراءه عن البذخ في الحياة. وعندما أمره الخليفة بهدم البيت فإن الزاكي لم يهدم إلا الجزء العلوي منه، وأبقى على الجزء الأسفل[53] .

(4) ما عن اتهام الخليفة بتقريب أهله فهذا أمر طبيعي بإعتبار أنهم أكثر من يثق بهم في بلد يتربص به أعداؤه من كل جانب، خاصة بعد أن تآمر عليه الأشراف أقارب المهدي منذ أول يوم تلقى فيه البيعة بل أنهم كانوا يريدون الخلافة لنفسهم، رغم أنهم أيضا كانوا يحتكرون جميع الوظائف الهامة ومعهم زعماء قبائل الشمال والجزيرة الأخرين قبل وفاة المهدي، ولا يستثنى من ذلك سوى الخليفة عبد الله الذي أصبح، بعد وفاة شقيق المهدي، القائد العام لجميع جيوش المهدي، وأخيه الأمير يعقوب والأمير حمدان ابو عنجة والأمير عثمان دقنة . ورغم ذلك كان كثيرا ما يستشير أهل الرأي والمستشارين في الأمور الكبيرة بما فيهم من تبقى من مسؤولي الإدارة لتركية وكثيرا ما كان يعمل برأي الأغلبية منهم (54).

(5) يرفض الكتاب والمؤرخون المدافعين عن الخليفة القول بأن الصراع بين أبناء غرب السودان وسكان المناطق النيلية هو الذي أدى في النهاية إلى سقوط الدولة المهدية لأن الصراعات التي شهدها عهد الخليفة لم تكن صراعات إثنية بقدر ما كانت صراعات سياسية حول النفوذ والسلطة بين ساسة المهدية وأمرائها و تنافس وطموح شخصي لاحتكار القيادة مثلما حدث في بداية حملة مصر بين الأمير عبد الرحمن النجومي ومحمد الخيرعامل بربر ودنقلا عبد الله خوجلي وكلاهما ينتميان لقبيلة واحدة وينضويات تحت راية واحدة هي راية الخليفة شريف فاضطر الخليفة عبد الله للتدخل لفض الخلاف بينهما ففصل العمالتين وجعل على بربر محمد الخير وعلى دنقلا ود النجومي. وهو ما حدث أيضاً بين الأمير يونس الديكم وأحمد علي من جانب، ومساعد قيدوم من جانب آخر وثلاثتهم ينضوون تحت الراية الزرقاء وثلاثتهم من قبائل الغرب فتدخل الخليفة وفصل أماكنهم. كما كان الخليفة يضطر في أحيان كثيرة لفض الاشتباك باستدعاء أمير إلى العاصمة أم درمان حتى يتمكن الآخر

مـن أداء المهمـة الموكلـة إليـه كـما حـدث مـع الأميريـن يونـس الدكيـم ومحمـد عثـمان أبوقرجـة حيـث اسـتدعى الأول لتمكـين الأمـير حمـدان أبـو عنجـة مـن الإعـداد لحملـة الحبشـة واسـتدعى الثـاني حتـى يسـتطيع الأمـير عثـمان دقنـة مـن شـن هجـوم عـلى القـوات الإنجليزيـة المصريـة فى سـواكن (55) .

(6) ومـن التهـم التـي وجهـت للخليفـة مـن قبـل معارضيـه هـو حبـه لرغـد العيـش والرفاهيـة والملـذات وهـي التهمـة التـي وجهـت إليـه بسـبب تعـدد زوجاتـه ولم يكـن الخليفـة فريـد في ذلـك، بـل أن معظـم الزعـماء في العـالم الاسـلامي يسـعون إلى كسـب ولاء القبائـل المحيطـة بهـم وضـمان مكانتهـم وسـط تلـك القبائـل بمصاهـرة زعمائهـم. أمـا مسـكن الخليفة فلـم يكن قـصراً ملكيـاً مشـيداً بالرخـام، بـل كان منـزلاً عاديـاً مبنيّـاً بمـواد محليـة وهـو أبسـط من سـكن تجـار السـودان حتـى أن أحـد الكتـاب الإنجليـز وصفـه بأنـه أشـبه بمنـازل الفلاحـين في صعيـد مـصر ، وهـو أمـر لايحتـاج إلى دليـل لـكل مـن زار بيـت الخليفـة الـذي تحـول إلى متحـف.

(7) ويُتَهـم عبداللـه التعايـشي بالجهـل والأميـة رغـم أنـه جـاء مـن بيـت علـم وكان أسـلافه لعـدة أجيـال شـيوخاً معروفـين بعلمهـم وورعهـم. وأسـس جـده ووالـده مـدارس لتعليـم القـرآن ومسـاجد. وكان مـن الطبيعـي أن يمـلي رسـائله عـلى كتبتـه (56).

(8) يتهـم بأنـه كان بغيضا لشعبه : لو كان مبغوضا من شعبه لانتهزوا الفرصة للتخلص منه عندما دارت عليه الدوائر بهزيمة كرري، بيد ان الذي حدث قد أدهش تشيرشيل الذي قال ان الخليفة عندما وصل إلى الجمع الرئيسي من جيشه المهزوم بعد معركة كرري وجد الذين تبقوا من جيشه مصابين بخيبة أمل ولم يكن بإمكان من معه أن يحموه، ولم يكن مسلحا، وكان لدى جنوده أسباب وجيهة تبرر ذبح ذلك الرجل الذي تسبب في كل ما عانوه من عذاب، ومع ذلك لم يعتد عليه أحد بل وجد السلامة والترحيب بين جنوده والتف حوله الأمراء الذين نجوا من المعركة . ومرة أخرى عندما علم ان الغزاة في طريقهم إليه في أم دبيكرات أحل الذين تجمعوا معه عن بيعتهم له وعددهم 5 آلاف معلنا لهم انه قرر مقابلة العدووالاستشهاد فرفضوا اغتنام الفرصة وقاتلوا معه حتى النهاية . وبعد وفاته في عام 1899م أصبح قبره مزارا للناس مما أقلق الإنجليز قلقا بالغا حتى أن مفتش كوستي طلب من حاكم محافظة النيل الأبيض هدم قبر الخليفة.

الخاتمة :

أستعرضت الورقة مكانة الخليفة عبدالله من المهدى هذه المكانة التى أهلته ليتولي أعباء السلطة الزمنية منذ حياة المهدى وآلت اليه الاوضاع بعد ذلك على أساس الكفاءة لا القربي مما أدى الى وقوع الجفوة بينه وبين اقرباء وأهل المهدى ، حيث عانى من العديد من المشاكل طوال سنين حكمة ورغم الظروف والتحديات الصعبة التى واجهها يكفى أنه حافظ على جذوة المهدية من الإنطفاء وحافظ على إستقلال السودان طوال الثلاثة عشر عاماً التى قضاها حاكما على السودان وإن لم يستطع تنفيذ وصية المهدى فى نشر الدعوة المهدية خارج السودان وفى كل العالم ..

النتائج :

خلصت هذه الورقة الى عدة نتائج أهمها :

1. كان الخليفة عبدالله التعايشي حاد الذكاء ذا عقل راجح وطاقة لا تنفد وشجاعة لا تقهر وكذلك صبر قوي عند الشدائد، أي كان يتسم بجميع صفات القيادة والبطول.
2. رغم صفاته القيادية لم يتمكن من جعل السودان بلدا موحدا وقويا فالسودان بلدا شاسعا، تسكنه العديد من الأعراق المختلفة ومن الصعب السيطرة عليه سيطرة تامة وربما كان يمكن له أن يفعل ذلك لو أمهله الزمن .
3. إنطفاء الجذوة الروحية للمهدية التي كانت هي مصدر قوة الثورة المهدية قد انطفأت باستشهاد الخليفة في أم دبيكرات ولكن الفكرة ظلت حية ، فقد ظل تأثير المهدية باقيا طوال سنوات الاستعمار الإنجليزي وألهم الحركات الوطنية .
4. بينت المهدية انه يمكن لجميع الأعراق التي تشكل السودان أن تتجمع خلف راية يحركها هدف سام واحد، ناسين كل ما يفرقهم أو يقسمهم فقد كانت جميع قبائل السودان، حضراً وبدواً ، ممثلين بعدد قل او كثر في جيش الخليفة .
5. كما أخذت فكرة الأمة تنبثق في عقول السودانيين تدريجيا، وناضل أحفاد من شيدوا الدولة المهدية لضمان استقلال بلادهم .

التوصيات :

1. ضرورة أعادة قراءة ومن ثم كتابة تاريخ السودان بأقلام سودانية ووجهة نظر محايدة بعيداً عن التطرف والتحزب والقبلية .
2. إهتمام المراكز البحثية بالدراسات التاريخية والخاصة بتسليط الضؤ على فترة المهدية والخاصة بشخصيات ورجال صنعو المهدية .
3. التركيز على الحياة الإجتماعية فى السودان إبان قيام الثورة المهدية لفهم طبيعة المجتمع السودانى وفهم مواقفهم المختلفة من الثورة المهدية .

الهوامش:

(1) ياجي فيفان: الخليفة عبد الله وحياته وسياسته، (في الأصل بحث أعد لرسالة دكتوراة في التاريخ) (2011) كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، جامعة مونبلييه الثالثة، فرنسا، وقام بترجمة الكتاب إلى العربية الدكتور مكي بشير.

(2) نفس المرجع .

(3) لخليفة عبد الله التعايشي والثورة المهدية ، صحيفة الراكوبة ، نسخة محفوظة بتاريخ 13/1/2018م .

(4) نعوم شقير : جغرافية وتاريخ اسودان ، تقديم محمد إبراهيم أبو سليم ، دار الجيل ، بيروت 1981م

(5) محمد إبراهيم ابو سليم : محررات الخليفة عبد الله التعايشي ، الخرطوم ، مركز أبو سليم للدراسات ، 2001م .

(6) محمد بن عمر اتونسي : تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة 1965م

(7) نعوم شقير : المرجع السابق .

(8) فيفيان : المرجع السابق .

(9) عبد الله حسن : السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية الجزء الاول إكتوبر 1935، ص298

(10) جرجي زيدان : مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر ج 1، مؤسسة كتاب بيروت ، 2012، ص238

(11) إبراهيم فوزى : السودان بين يدى غردون وكتشنر ، دار المؤيد .

(12) ابو سليم : منشورات المهدى .

(13) ب م هولت : دولة المهديةنفى السودان ،عهد الخليفة عبدالله التعايشي 1885ـــ1898م ، ترجمة هنرى رياض وآخرين ط بيروت ، دار الجيل ، مكتبة خليفة عطية الخرطوم 1983م، ص110/111

(14) ب م هولت : المرجع السابق نفس الصفحة .

(15) نعوم شقير : مرجع سابق ، ص668.

(16) سيد أحمد علي عثمان العقيد : الخليفة الشهيد عبدالله التعايشي وحكم التاريخ ، بين عجز الحفدة وعمالة السفلة ، مطابع العملة 2010م، ص 38 .

(17) ابو سليم : منشورات مهدية ، مرجع سابق .

(18) بين النيل والنيجر : جون هنريك وآخرون ، مجلة دراسات إفريقية ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة إفريقية العالمية ، يناير 1999م .

(19) عبد الله حسن : المرجع السابق ص 298 .

(20) سلاطين باشا : السيف والنار فى السودان تعريب جريدة البلاغ ، القاهرة 1930، ص 214.
(21) نفس المرجع والصفحة .
(22) حقبة التعايشي فى الدولة المهدية 2 ، صحيفة الراكوبة ، بقلم بابكر عباس الأمين ، نسخة محفوظة بتاريخ 16/1/2018م
(23) مكي شبيكة : تاريخ شعوب وادى النيل فى القرن التاسع عشر ، دار الثقافة بيروت 1980، ص 701-703
(24) نفس المرجع ، ص701-703.
(25) شبيكة : المرجع السابق والصفحة .
(26) نعوم شقير : المرجع السابق ، ص 641.
(27) نعوم شقير : المرجع السابق ، ص641.
(28) جرجي زيدان ، مرجع سابق 143.
(29) المرجع نفسه و الصفحة .
(30) عبد الله حسن : المرجع السابق ، ص 149.
(31) شبيكة : المرجع السابق ، ص 707.
(32) جرجي زيدان : المرجع السابق ، ص 144.
(33) عبد الله حسن : مرجع سابق ص 149.
(34) سلاطين : المرجع السابق .
(35) عبد الله حسن : المرجع السابق ، ص 298 ـ 299
(36) بابكر بدرى : حياتي ، تحقيق ومراجعة بابكر على بدرى ، مطابع شركة العبيكان للنشر والطباعة 1990م ،، شبيكة ، المرجع السابق : ص 713-717
(37) شبيكة : المرجع السابق ، ص 713، 717.
(38) جرجي زيدان : المرجع السابق ، ص143.
(39) شبيكة ، المرجع السابق ص708.
(40) محمد ابراهيم ابو سليم : تاريخ الخرطوم ،د ت ، ص 110.
(41) نعوم شقير : اللمرجع السابق ، ص 642.
(42) شبيكة : مرجع سابق ، ص712،711.
(43) عبد الله حسن : المرجع السابق، ص298.
(44) يوسف ميخائيل : مذكرات يوسف ميخائيل ، التركية والمهدية والحكم الثنائي فى السودان تقديم وتوثيق د ابراهيم أبو شوك ،مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، طبعة ثالثة ، الدوحة 2016، ص 148. ، القدال : تاريخ السودان ،ص 185،178.
(45) فى الذكرى 113 لاستشهاد الخليفة عبد الله : فرنسية تعيد رسم الوجه الحقيقي للخليفة عبد الله ،النيلين نسخة محفوظة فى باك مشين بتاريخ 14 يناير 2018م ـ www.alnilin.com

(46) محمد حسن الفضالة، مختصر تاريخ السودان، أي يونيفرس، نيويورك, 2004م
(47) ابراهيم فوزى : السودان بين يدي غردون وكتشنر ، مجلد 1 ، مطبعة جريدة المؤيد ، القاهرة .
(48) فيفيان ياجي : المرجع السابق .
(49) يوسف ميخائيل : المرجع السابق ، ص 148.
(50) عصمت حسن زلفو: معركة كرري: تحليل عسكري لمعركة أم درمان، الخرطوم(1995)، ص 198.
(51) بدرالدين حلمد الهاشمي، أمراء المهدية ، سودارس 3يناير 2018م ، واي باك مشين.
(52) فيفيان أمينة ياجي : رجال حول المهدي ، ترجمة مكي بشير مصطفى، بيت الخرطوم للطباعة والنشر ، الخرطوم 2001م ص 89
(53) بدرالدين حلمد الهاشمي : مرجع سابق .
(54) يوسف ميخائيل : مرجع سابق ، ص 158.
(55) فيفيان ياجي : الخليفة عبدالله حياته وسياسته ، مرجع سابق .
(56) في الذكرى 113لإستهاده ، فرنسية تعيد رسم الوجه الحقيقي للخليفة عبدالله التعايشي ، النيلين نسخة محفوظة بتاريخ 14يناير2018م، على موقع واي باك مشين

المصادر والمراجع :

(1) ياجي فيفان: الخليفة عبد الله وحياته وسياسته، (في الأصل بحث أعد لرسالة دكتوراة في التاريخ) (2011) كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، جامعة مونبلييه الثالثة، فرنسا، وقام بترجمة الكتاب إلى العربية الدكتور مكي بشير . فيفيان أمينة ياجي، الخليفة عبد الله حياته وسياسته، ترجمة مكي بشير مصطفى البدري، الخرطوم، المروة للطباعة والنشر، 2011م

(2) محمد إبراهيم ابو سليم : منشورات المهدية ، ، تحقيق محمد إبراهيم أبو سليم، 1969م

(3) محررات الخليفة عبد الله التعايشي ، الخرطوم ، مركز أبو سليم للدراسات ، 2001م.
تاريخ الخرطوم ،د ت

(4) نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودن ، در الجيل بيروت ، 1981م.

(5) عبدلله حسن : السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية ، الجزء الاول القاهرة 1935م .

(6) جرجي زيدان : تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر ، الجزء الأول مؤسسة كتاب بيروت ، بيروت 2012م .

(7) إبرهيم فوزى : السودان بين يدى غردون وكتشنر ، مجلد 1 ، مطبعة جريدة المؤيد ، القاهرة .

(8) مكي شبيكة : تاريخ شعوب وادى النيل فى القرن التاسع عشر الميلادى ، دار الثقافة بيروت 1980م .

(9) بابكر بدرى : حياتي ، تحقيق ومراجعة بابكر على بدرى ، مطابع شركة العبيكان للنشر والطباعة 1990م.

(10) يوسف ميخائيل : مزكرت يوسف ميخائيل ، التركية والمهدية والحكم الثنائي فى السودان ، تقديم وتوثيق أحمد إبراهيم ابو شوك ، مركز عبد الكريم ميرغنى الثقافي ، طبعة ثالثة الدوحة 2016م .

(11) محمد بن عمر اتونسي : تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة 1965م

(12) ب م هولت : دولة المهدية فى السودان ،عهد الخليفة عبدالله التعايشي 1885ـــ1898م ، ترجمة هنرى رياض وآخرين ط بيروت ، دار الجيل ، مكتبة خليفة عطية الخرطوم 1983م

(13) سيد أحمد علي عثمان العقيد : الخليفة الشهيد عبدالله التعايشي وحكم التاريخ ، بين عجز الحفدة وعمالة السفلة ، مطابع العملة 2010م

(14) محمد حسن الفضالة، مختصر تاريخ السودان، أي يونيفرس، نيويورك, 2004م .

(15) عصمت زلفو : عصمت حسن زلفو: «معركة كرري: تحليل عسكري لمعركة أم درمان »، الخرطوم(1995).

مواقع على الشبكة العنكبوتية .

(1) موقع سودارس .
(2) موقع النيلين .
(3) وكيبيديا الموسوعة الحرة .